Un viaggio a timgad
un voyage à timgad
a trip to à timgad
un viaje a timgad

رحلة إلى تيمقاد

المؤلف

الدكتور : محمد العيد مطمر



رقم الإيداع القانوني 2604 - 2011 المكتبة الوطنية

ردمك 1 - 3225 - 0 - 9947 - 978

تم السحب بمطابع:

دار الهدى

للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الصناعية ص ب 193 عين مليلة - الجزائر

الهاتف: 032.44.92.00 // 032.44.95.47

الفاكس: 032.44.94.18

web: www.elhouda.com

e-mail: darelhouda@yahoo.fr

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وتمهيد

يسرني أن أقدم هذا الكتاب، وقد حاولت جاهدا، أن أنقل بعض ما يود القارئ معرفته عن الأماكن الأثرية السياحية، التي تزخر بها الجزائر الثرية بتراثها الحضاري، وكنت قد قضيت سبعة عشر عاما طالبا في سوريا والعراق، حيث توفرت لي ظروف مساعدة على القيام بالتجوال في الأقطار : الكويت، الأردن، لبنان، مصر، ليبيا، تونس والمغرب، وحاجا إلى بيت الله الحرام رفقة الوالدين الكريمين عام 1980م - رحمهما الله -

وسائحا في الدول : تركيا، بلغاريا، يوغسلافيا (سابقا) إيطاليا، اليونان، سويسرا وفرنسا أكثر من مرة، وكذا بالترحال منطلقا من بغداد برّا عام 1977م صوب الشرق الأدنى : إيران، أفغانستان، باكستان، الهند والنيبال إلى العاصمة "كتمندو" بجبال الهملايا، وقد كتبت عن هذه البقاع والأصقاع، ما شاهدته وصورته .

بعد عودتي، راودتني فكرة الكتابة عن معالم الجزائر السياحية، ومما زاد الفكرة نضجا، تأسيسي للجمعية الثقافية للبحوث التاريخية بولاية باتنة، والعمل ضمن أهدافها، التي سنحت لي بفرص التعرف والتنقل في وفود مديرية الشباب والرياضة

ومديرية الثقافة، ضمن المهرجانات الثقافية المحلية للفنون والثقافات الشعبية إلى معظم الولايات، وموازاة مع هذا، أقوم بتكليف من مديرية الثقافة بصحبة الوفود القادمة إلى ولاية باتنة في الأسابيع الثقافية برحلات سياحية إلى : الضريح النوميدي (إمدغاسن) (LE Medracen) ومدينة تيمقاد الأثريــة، (Ville archéologique de Timgad) وشرفات غوفي(les balcons de Ghoufi)ومتحف دشرة أولاد موسى، حيث كان تجمع الرعيل الأول من المجاهدين، قبيل اندلاع الثورة التحريرية في غرة نوفمبر عام 1954م بقيادة مصطفى بن بولعيد ونائبه بشير شيحاني، وزيارة متحف المجاهد، ملحقة باتنة، ومتحف تازولت الأثري.

ونظرا لهذه المهمة التي أتولاها، رأيت ضرورة تقديم، كتاب كدليل للسياح والمهتمين بتراثنا الحضاري، وميراثنا التاريخي عبر العصور، بعدما تأكد لي أهمية السياحة، ومدى حاجة المواطن في مواجهة مضاعفات العمل والإجهاد، الذي يقوم به، وما يعانيه من أثر التطورات السريعة المتلاحقة لمنجزات العلم والتكنولوجيا، فالسياحة تجعل للحياة معنى، بل تشعرنا بدبيب الحياة وتنوعها، وتكسر النطاق الرتيب في حياتنا اليومية والعامة .

عزيزي القارئ :

لقد أصبح الناس، يعترفون بأهمية الدور، الذي تلعبه الرحلات السياحية في تطوير ثقافة المواطن، وتأثير ذلك في حسه ووجدانه، وإن التجول في مدينة تيمقاد الأثرية، ممتع للغاية، إذ أن المدينة تحتضن سر الحياة، وتحتفظ بلغز وجود الإنسان، فالأواني الفخارية والتماثيل والفوانيس والفؤوس -التي نراها أمامنا- التي تحمل مغزى عميقا جدا، ولأن البقايا الأثرية التي عفا عليها الزمن، ووصلتنا، كانت تلمسها أياد لأناس غيرنا، وتستقبل أنفاس أشخاص – مثلنا- كانوا يقومون بأعمالهم، ويتولون أمورهم الخاصة والعامة وغيرها .

تلك الصورة التي أحاول استرجاعها لتقديمها للقارئ، حيث تقربنا من معرفة حقائق ذلك المجتمع، التي ترسب في خضم التاريخ، كما ترسب الأصداف الثمينة في قاع البحر، حقائق تصور لنا عادت وتقاليد الرومان، وما كانوا يزاولونه من طقوس وعبادات، وترشدنا إلى الأساليب والسبل، التي كانت تعتمدها، وتسير عليها مجمل مناح الحضارة الرومانية .

إن الحضارة الرومانية في الجزائر، اعتمدت على جهود السكان الأمازيغ أنفسهم، الذين وإن كانوا تحت سلطة الرومان، فقد تركوا لنا روحهم الخاصة في كل نقش أو نحت أو أثر، ولأنهم كانوا

يعملون بجد ونية صادقة في إنجاز هذه الأبنية، التي يشاد بها في كل زمان وآن .

ونحن نخطو بخطواتنا عبر البوابة الكبيرة للمدينة (سيرتا) نتعرف على ذوق الرومان الفني الرفيع، إذ أنهم لم يغفلوا بناء، أو مرفق خاص بحياتهم، إلا واهتموا به، وقد تمتعوا بالثروات الطائلة التي جمعوها من استعمارهم للشعوب الأخرى، ومن التجارة واستثمار المناجم، وبنو القصور والملاعب والحمامات والساحات العمومية والأبنية الكبيرة والمتاجر والأسواق والمعابد والمسارح والمحاكم، وهذا ما سأعمل على تقديمه وتقريبه للقارئ في مدينة تيمقاد،



مدينة تيمقاد تزدهي بزوارها

وسنعرف،أن كل شيء، كما كان تقريبا، عدا أنفاس البشر، التي كانت تتنفس فيها يوما، وإني إن لم أتمكن من عرض بعض الجوانب، فليعذرني القارئ، لأنني استعنت بخبرتي الشخصية في الترحال وتجربتي في الأسفار، وقد تكون هذه الخبرة والتجربة في حاجة إلى المزيد من المعرفة والسفر، وبذلك أكون قد أسهمت بجهدي المتواضع في تقديم ما يمكن تقديمه لمحبي الرحلات والسياحة في ربوع بلادنا الجميلة .

وكنت قد كتبت، أن المعرفة الحقة، هي التي تتم بالمشاهدة المباشرة عن قرب، إذ أنك قد تطالع، أو تقرأ كتبا عن مدينة ما، وتسمع عنها الكثير، فتكوّن صورة خيالية عنها، ولكن ما إن تقف على

أعتابها، حتى تدرك، أن ما كنت تتوقعه يختلف عن الواقع، وتبقى السياحة عاملا هاما في التطور الثقافي، والتواصل الإجتماعي، لأبناء وطني المفدى الجزائر.

والله أسأل، أن يمدنا عونه وتوفيقه سبحانه، وأن يهبنا من العزم والقوة على أن نضيف الجديد إلى هذا الكتاب، حتى طبعته القادمة، إن شاء الله.

والله الموفق سواء السبيل

باتنة في 29 ماي 2011

المؤلف

الدكتور: محمد العيد مطمر

أستاذ محاضر بجامعة الحاج لخضر - باتنة - الجزائر.

رئيس الجمعية الثقافية للبحوث التاريخية بولاية باتنة

رؤى عبر الزمن الأوراسي

إن أول مظاهر الحضارة، التي وجدت في الجزائر، يعود تاريخها إلى تاريخ مضى عليه حوالي عشرة آلاف سنة، حيث تشير بعض الآثار والرسوم، التي تم اكتشافها في منطقة (تاسيلي بالهقار) جنوب الصحراء الجزائرية إلى وجود السكان منذ حوالي(8000 ق.م) ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد، وكانوا يعتمدون في معيشتهم على الصيد، خاصة صيد النعام .

وفي المنطقة الشمالية، التي من ضمنها منطقة الأوراس، كان فيها الأمازيغ، منذ أقدم العصور، وقد

ساعدهم على الإرتقاء في مدارج الحضارة، تنوع الطبيعة من جبال وسهول وأحواض جبلية وعيون وأودية وكهوف، خاصة كهوف سفوح الأوراس الجنوبية، وقد مارسوا الزراعة (قمح، شعير، تين، زيتون) ومارسوا تدجين الحيوانات (بقر، غنم، خيل) فظلوا كذلك، حتى وفد عليهم قوم قادمون من الشرق، وهم الفينيقيون (**Les Pheniciens**) الذين أسسوا عاصمة لهم، وهي قرطاجة (**Carthage**) وبدأوا يتقدمون نحو الغرب، حيث أسسوا عددا من المحطات التجارية على طول الساحل الجزائري، كان أهمها من الشرق باتجاه الغرب، المدن التالية : (هبو- ريجيوس **(Hippo-Regius)** (عنابة) روسيكاد (سكيكدة)- شوللو (القل)- اجلجيلي

(جيجل)- سلداي (بجاية) – روزوكرو (دلس) – (إيكوسيم) الجزائر العاصمة –(سيكا) رشقون وغيرها من المدن، وبذلك تكونت الحضارة البونيقية (La Civilisation Punique) في ظل الدولـــة النوميدية (Etat Numidie) أثناءها، تم تشييد ضريح إمدغاسن [1] في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، وتأصلت العلاقة بين نوميديا وقرطاجة، إذ أن الوسط القرطاجي، يمتاز بانهماكه في العمل، والتفاني في حب الصناعة والفلاحة، والإكثار من الأسفار، وعقد الرحلات في سبيل التجارة .



أثر ضريح (امدغاسن) النوميدي

ضريح (إمدغاسن) : لقد تساءل الناس كثيرا في شتى الأزمنة، حول حقيقة مثل هذا الأثر التاريخي، وهل كان يحتوي على كنوز انتُهبت منذ أزمنة طويلة؟ أو لازال يحتفظ بأسراره! إن هذا الضريح، قد يعود إلى أسرة ملكية نوميدية، أنفقت أموالا طائلة في سبيل دفن موتاها في إطار لا يختلف عن التقاليد المعهودة آنذاك، إلا أن أبرز جانب يتجلى للزائر، هو اتسام هذا الأثر، الذي لا يخلو جماله عن البساطة والروعة بطابع الوجود، وهذا الطابع، يجعل من الضريح، بما يحمله في أحضانه من جلال وأسرار، أثرا من أجمل الآثار التي تركها الإنسان في شمال إفريقيا، إن هذا الهرم

المدرج الضخم، يكفي لإعطاء صورة دقيقة عن تقدم وازدهار الحضارة النوميدية، وعلى تمكينها من استعمال المعادن لتقوية المباني .

وقد ازدهرت دولة نوميديا في زمن ملكها الشاب ماسينيسا[(2)] (**Massinissa**) الذي جعل من سيرتا (Cirta) أي قسنطينة حاليا، عاصمة للملكة الموحدة، وكان عهده من أكثر العهود الوطنية ازدهارا وامتدادا، حيث حكم حوالي خمس وخمسين سنة (203-148 ق.م) وعمل على تقدم الدولة بتشجيعه الزراعة وغرس الأشجار، والتجارة، خاصة التجارة الخارجية، بين نوميديا وكل من أثينا ورودس[(3)] ومرسيليا، كما عمل على

ضرب العملة باسمه، وجعل من (سيرتا) عاصمة عالمية للثقافة، حين جمع كبار علماء عصره فيها .

وهنا أذكر للتاريخ، أن أول دولة تصطدم بها روما في إفريقيا الشمالية، هي قرطاجة الفينيقية، التي كانت تسيطر على التجارة في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وقد دامت الحروب بين روما وقرطاجة بين عام (264- 146 ق.م) وكان أشهر أحداثها، عند ما تمكن (هانيبعل) **(Hannibal)** القرطاجي، وعمره وقتذاك خمس وعشرون سنة، أن يغزو إيطاليا، بأفياله الزاحفة من إسبانيا، عبر جنوب فرنسا، وجبال الألب، وقد انضم إليه الغاليون **(les Gaulois)** بفرنسا،

وكانت المعركة الفاصلة في كاناي **(Cannae)** بإقليم أبوليا **(Apulia)** أسفر هذا الهجوم عن إبادة الرومان بما فيهم قائدهم (باولوس).

وبقي (هانيبعل) مسيطرا على إيطاليا، ومهددا وجود روما بين عامي (218-202ق.م) حتى اضطر إلى إخلائها ليدافع عن قرطاجة العاصمة، عندما غزاها الرومان، إذ قاموا بهجوم معاكس، فهجموا على قرطاجة وحاصروها، مما جعل "هانيبعل" يسرع في العودة ليدافع عن عاصمته، لكن الرومان ،نصبوا له الكمائن في الطريق – برا وبحرا- وأوقعوا به، مما أنهك جنده... لكن المقاومة استمرت، وبعد أكثر من خمسين سنة،

تمكن الرومان، بما لهم من إمكانيات حربية هجومية، أن يسقطوا قرطاجة، وليس هناك ما يقيها شر سقوطها، أو من يأخذ بيدها، ويدمروها تدميرا كاملا، وأن يبسطوا سيطرتهم على كل إفريقيا الشمالية وإسبانيا .

بعد سقوط قرطاجة عام (146ق.م) احتلت الجيوش الرومانية، الأراضي التي كانت تابعة لها (تونس حاليا) ثم بدأت تتقدم غربا على حساب دولة نوميديا وقد حاول بعض الملوك المحليين الوقوف في وجه الاستعمار الروماني، الذي أخذ شكلا استيطانيا، وكان أهم الملوك الوطنيين، الذين حاولوا الوقوف والصمود أمام هذه

القوات، الملك الطموح يوغرطا [3] **(Jugurtha)** الذي خاض حربا بطولية ضد روما، وذلك بين (116-106ق.م) إلا أن الرومان تغلبوا عليه، واحتلوا المناطق الساحلية، بما فيها من مدن وقرى مركزية، ذات شأن اقتصادي، لكن الجزء الداخلي من المنطقة بقي مستقلا، تحت رؤسائه المحليين من هؤلاء (يوبا الثاني Juba II 25 ق.م _23ب.م) وقامت ثورات لمواجهة تقدم قوات الرومان، من أهمها ثورة "تاكفاريناس" (17–24 م) التي عمت السهل والجبل، فانتصر عدة انتصارات في مقاومة دامت نحو سبع سنين... واستمر سكان شواهق الجبال بالأوراس في المقاومة محافظين على استقلالهم، وكان هؤلاء دائما، هم مبعث الثورات

ونواة الحرية والاستقلال، وبذلك فالاستعمار الروماني، صار يحسب لهم ألف حساب .

بعدها ضمت دولة نوميديا إلى الإمبراطورية الرومانيــــة[4] في عهــد يــوليــوس قيصر (Jules César) الذي جعل منها منطقة عسكرية، يمارس فيها السلطة، قائد الفيلق الثالث أو الفرقة الثالثة الأغسطية (Augusta III) لينتقل مركز القيادة الشرقية إلى مدينة (تافست Theveste) أي تسبة حاليا، ومنها تقدم الجيش الإمبراطوري لإخضاع مناطق شمال الأطلس الصحراوي في حملات متتالية، وتم احتلال المنطقة، وتشييد معسكر (لامباز Lambèse) عام (81 م) وإليه

تحولت قيادة الفرقة الثالثة الأغسطية لتدعم الاحتلال، وتقمع الثورات الوطنية .

لم يبسط الرومان نفوذهم على كامل منطقة الأوراس، بل احتلوا المناطق، التي لا تكلفهم كثيرا، وتدر عليهم أرباحا، فشيدوا مدينة تيمقاد (Timgaad) [5] في موقع استراتيجي على الطريق الروماني، الذي يمر شمال الأوراس، ويربط المدينة بخنشلة وتبسة وقرطاجة شرقا ،و لامباز والقنطرة غربا، وكانت مهمة الجيش المتمركز في المدينة، مراقبة طرق الأوراس الجبلية، طريق الوادي الأبيض، الذي يتصل بالطريق الصحراوي، عند منطقة (تهودة) وطريق وادي عبدي، الذي تتوفر فيه مواد البناء، ومخزون المياه، خاصة وأن مدينة

تيمقاد، بنيت بأحجار جلبت من (وادي الطاقة) القريب من محيط المدينة .

صوب مدينة تيمقاد

تعتبر ولاية باتنة من أغنى المناطق في بلادنا من ناحية المواقع الأثرية، إذ تحتوي على (550) موقع أثري (18) ثمانية عشر، ضمن التصنيف الوطني و(2) إثنان، ضمن تصنيف التراث العالمي : ضريح إمدغاسن النوميدي ومدينة تيمقاد الأثرية، وبذلك تكثر في الولاية آثار الحضارة النوميدية، والحضارة الرومانية، التي نتوقف عندها لتقديم الأثر التاريخي : مدينة تيمقاد، التي تمثل العصر الذهبي للحضارة الرومانية .



بُناتها بالأمس هم فيها اليوم سائحون

تقع ولاية باتنة بالشرق الجزائري، وتبعد عن الجزائر العاصمة بـ (435) كلم. وتعد من أكبر الولايات من حيث المساحة وعدد السكان، وتبلغ مساحتها بـ 12.038.76 كلم^2، ويقطنها أكثر من (1.39.877 نسمة)[7] موزعين على (61) بلدية تترأسها (21) دائرة، وموقعها استراتيجي بمقاربة حدودية مع ولايات خمس : غربا المسيلة، وشرقا خنشلة، وشمالا كلا من ولايتي سطيف وأم البواقي، ومن الجنوب بسكرة، وبحكم موقعها الجغرافي، تعد همزة وصل بين الصحراء والهضاب العليا، حيث تقع شمال سلسلة الأطلس الصحرواي على السفح الشمالي لجبل الأوراس، الذي يزيد ارتفاعه

على (2.328 م) عن سطح البحر في قمة (كلثوم) بجبل شليا، وكما توجد قمة (توقر) بجبل الشلعلع (2.321 م) وبالقرب من هذا السفح، توجد سلسلة جبلية التوائية، أشهرها جبل بوعريف، الذي يصل ارتفاعه في أعلى نقطة له في رأس (فورار) على ارتفاع(1.746م) وما بين جبل الأوراس، وجبل بوعريف، يوجد سهل ضيق لا يتجاوز عرضه (5) كلم. وعلى حافة هذا السهل الجنوبية، شيدت مدينة تيمقاد، ومناخها معتدل جميل – سياحيا - على مدار السنة، إلا أن صيفها حار وخريفها دافئ مشمس، وفي الشتاء تغطي الثلوج قمم الجبال المحيطة بها .

تبعد تيمقاد عن عاصمة الأوراس، باتنة بـ (36 كلم).شرقا، والوصول إليها عبر الطريق الوطني رقم (88) الذي يؤدي إلى مدينة تازُولت (لامباز) ومدينة خنشلة، ثم تبسة إلى تونس، وكل الطرق المؤدية إلى مدينة تيمقاد معبدة، وأهمها الطريق الوطني، الرابط بين باتنة وخنشلة، ويمتاز هذا الطريق، بأنه يمتد محاذيا للطريق الروماني القديم، الذي كان يربط مدن هذا السهل القديمة: خنشلة، تيمقاد، لامبيز، ويلتصق به في بعض الجهات، كما هو في مركونة ودوفانة، أو يقترب منه جدا في (سهل الرَّبع) وقرب قايس والحامة .

في أي جهة كنت، فأنت في مدينتك التاريخية



إن مدينة تيمقاد، مدينة أثرية رومانية، إستهوت قلوب الأثريين والكتاب والمهندسين، فقد تأسست في سنة (100 - 103 م) بأمر من الإمبراطور(تراجان تاريانوس- (**Traianus Trajan**)[8] الذي كلّف الفرقة الثالثة الأغسطية بقيادة المفوض الإمبراطوري (**Galius Lucius Munatius**) ببناء المدينة الجديدة لتستقبل قدماء المحاربين من الجيش الروماني، الذين تحولوا إلى ملاكين للأرض، وقد أعطي للمدينة إسما في البداية (**Splendissina Civita**) ثم أصبحت بعدها تسمى : **Upla Trajan Marciana**) **Thamugadi Colonia**) وتعني كلمة (تاموقادي) : أم السعادة، وقد جاء ذكرها في عدد من الكتابات



ذكرها في عدد من الكتابات الأثرية، وفي الجلاميد، التي عثر عليها بداخل المدينة وضواحيها .

عزيزي القارئ

منذ اللحظات الأولى لبداية رحلتك، وأنت تتجه صوب مدينة تيمقاد، عليك أن تدرك، أنك سترى مدينة أثرية بمثابة متحف ممتاز، يضم آثارا باقية في سجل الزمن الأوراسي، مدينة تمثل إحدى رموز المدن التاريخية، ومازالت تحكي على جدرانها تجاعيد ألغاز، يصعب حلها أو فتح مغاليقها، وكأنها متحف مسكون، ولا تحاول التفكير في التجوال بين أطلالها ليلا!

في طريقك إلى المدينة الأثرية، تمر على جانب مدينة تازُولت، فترى آثارا شامخة، تمثل بقايا مدينة رومانية (لامباز) إنها معسكر لقيادة الفرقة الثالثة الأغسطية، ويعتبر أهم أثر ظل باقيا من عهد الرومان، وتحكي أطلاله عظمة الأمس، ومازال سور المدينة قائما، وبداخله آثار وبجانبه قلعة على تل أثري، وعلى الجانب الأيسر، ترى منطقة أثرية، تم اكتشافها مؤخرا، وقد كانت لنا وقفات على آثار هذه المنطقة، أكثر من مرة مع وفود زائرة .



أطلال معسكر(LAMBESE) لقيادة الفرقة الثالثة



وقفة (فولكلورية) بين التوارق و الأوراسيين في مقر القيادة

وتمر إلى منطقة (مركونة) حيث آثار رومانية بادية أمامك، ومتناثرة من حولك، إنك في ملتقى الطرق الجبلية والسهلية، لتنعطف يسارا، فيقع نظرك على المناظر الجميلة الخلابة، التي تبعث السرور للقلوب، والبهجة في الأبصار، فقد يتبدل المنظر بسرعة وخفة، فترى السهول على مدى البصر، والجبال من بعيد، التي تشدك لتلك القمم، التي تتراءى لك متربعة على عرش جبل شليا الشاهق، وإذا ما كنت في شهور أواخر السنة، ستراها معممة بوشاح أبيض أخّاذ .



مناظر أخاذة، تُعجبك في رحلتك السياحية

وبمروروك على مدينة "سيدي معنصر" وسكانها الطيبين تصل إلى منعطف مدينة تيمقاد، ترى أعمدة ستا تنبئك، بأنك مقدم على أثر روماني



مدينة تيمقاد ترحب بكم

وتستقبلك المدينة الجديدة بتطورها العمراني، ويستضيفك سكانها (لعشاش) الذين يمتازون بأنهم مضيافون، يرحبون بكل زائر لمدينتهم، ويسعون إلى مساعدته في تكملة رحلته السياحية، وهذا من شأنه أن يبعث السرور في نفوس الزوار الوافدين الكرام .

في موقف السيارات، تجد من يجعلك مطمئنا على مركبتك، لتقوم بجولتك هادئ البال، مطمئن الحال، وأمام المدخل الرئيسي، تعرض من قبل الباعة (ناس ملاح) آثار لمجسمات معالم مدينة تيمقاد، وقلائد تمثل زينة المرأة الأوراسية عبر الأجيال، وهدايا تذكارية متنوعة، وإذا أردت أن ترتشف فنجان قهوة خفيفة، أو كأس شاي منعنع، فأنت وما طلبت ودفعت؟!



استقبال الزوار بالهدايا التذكارية

بوصولك إلى مدخل المدينة الأثرية، توجه من قبل مرشدين بتوجيهات هامة، وما إن تخطو خطوات، وتقترب من أعتاب المدينة، حتى تدرك، أنها مازالت تحتفظ برونقها، لتدل على ماض عريق، تبدو بصماته أكثر وضوحا، أثناء تجوالك في شوارعها العريضة، والسير في منعطفاتها الطويلة، التي تجعلك من أول وهلة، تنبهر لرؤيتها مستثيرة إعجابك، وقد نسيت أن أذكرك، بأنه من الأحسن، أن تكون معك آلة تصوير – غير محمولة - لتلتقط صورا للذكرى، وليبقى الأثر بعد العين .

جولة في مدينة تيمقاد

إن مدينة تيمقاد الأثرية، هي المدينة الوحيدة من مدن الرومان، المحافظة على هويتها النموذجية في إفريقيا، وهي مسجلة ضمن التراث العالمي، وقد بنيت بمختلف مرافقها على هيئة شبه مربع طول أضلاعه (354×324 م) بشكل لوحة الشطرنج، يتوسطها طريقان رئيسيان، حيث يشكلان عند تقاطعهما مربعات طول أضلاعها (25 م) خصصت لبناء المنازل، ومع مرور الزمن، ازداد عدد السكان، فبنيت أحياء لمنشآت جديدة، ومساكن أخرى أكثر رفاهية بشكل خاص في الجهة الشرقية للمدينة.

بخطواتك الأولى في مدينة تيمقاد الأثرية، تجد نفسك أمام مبنى (المتحف) الذي يتكون من قاعات فسيحة تحتوي على مجموعة من التحف الأثرية الثمينة، منها جِرَار وفوانيس وأدوات فخارية، ولوحات فسيفسائية جميلة، كانت تغطي أرضية المساكن الخاصة والحمامات العمومية، ومجموعة من التماثيل، التي تعطي كلها صورة عن معتقدات أهل (تاموقادي) عبر الكتابات والرسوم المنقوش عليها، والتي تملأ الجدران والسقف، والتي تقود إلى التعرف على تاريخ الأفراد والمدينة، ومنها تماثيل موضوعة لتقديس الأموات، أمامها صحون لاعتقاد الرومان، أن

أرواح الموتى، تستيقظ لتأكل، وبذلك فإن أكثر الصور والتماثيل، ترمز إلى قصص وأساطير عن الآلهة وصراعهم على الأرض .

فالرومان يعتمدون في فنهم على أشكال هندسية بديعة، يرمزون بها إلى معتقدات، أو لغرض التزيين، أو التأثير على العدو أثناء الحرب، فالعمل الفني عندهم، لا يقوم بذاته، بل باعتباره وسيلة للتعبير، ويتميز، بأنه ذو طابع عملي نفعي .

عزيزي السائح

قد ترى هذا وأكثر، إذا حدث، وصادفت المتحف مفتوحا في المناسبات الوطنية، أو بموعد مع مدير المتحف، الذي يستقبل الزوار بكل

ترحاب، صحبة دليل، يستنطق هذه الآثار - بل الكنوز- الثمينة، خاصة منها مناظر لرسوم فسيفسائية بالألوان الزاهية المتداخلة في غاية الانسجام والاتساق، معلقة ومبثوثة على الجدران والسقف، وهي تروي أساطير صراع الآلهة وأنصاف الآلهة مع بني البشر، فتكون بذلك، قد رأيت ما لم تره من قبل في أي مكان، وكأنك في حلم جميل.

ولدى اقترابك من البوابة الرئيسية (سيرتا) تشاهد تماثيل صغيرة، رصت في صفوف رتيبة لها مدلولاتها، وتوابيت كبيرة وصغيرة، عليها نقوش، ترمز لمن كانوا في جوفها يوما.



تماثيل رصت على مدخل المدينة

وبعد عبورك البوابة إلى الطريق الرئيسي (الكاردوس) وهو طريق منحدر عرضه (5) خمسة أمتار، وطوله (180 متر) مرصوف بالأحجار الزرقاء، لاحظ أثناء سيرك، البلاطات المستطيلة على طول أرضية الطريق، مائلة وليست متوازية، وهذا حتى يحدث توازن عجلات العربات، التي تجرها الخيول، وتحت هذه البلاطات، توجد مجاري المياه وتنتهي بأرصفة.



مدخل الطريق الطويل (الكاردوس)

ويبلغ العرض المتوسط لهذا الشارع، دون الأرصفة بين (4 – 7) أمتار، وأحيانا تصل إلى (16م) حيث يجمع مابين الشارع والرصيف المخصص للمشاة، ويمتد هذا الشارع إلى مدخل الساحة العمومية أو الفوروم **(Forum)** الذي يتوسط المدينة، وفي نفس الاتجاه، نجد في المربع الأول على اليسار، حماما تضيق مساحته، إذ كانت المرافق صغيرة، فكانت الغرف الحارة والباردة وأحواض الماء والمغاسل والمراحيض كلها صغيرة، وفي المربع الثاني، تشاهد منزلا مهما، يشتمل على عدة غرف وقاعة فخمة، وحمام خاص، وهو الذي منحه تلك الأهمية .



لاحظ أحجار (الكاردوس) المرصوفة

وبعد سيرك في الطريق، تجد بقايا مكتبة، تصلها بدرجات خمس، تسوي ارتفاع الطريق، بحيث تشكل فناء مستطيل الشكل، وبه بلاطات حجرية للجلوس والمطالعة – أكيد أنها كانت مغطاة بأقمشة مريحة – ومقاساتها الكلية (26×25 م) ويحيط بفناء المكتبة، رواق ذو أعمدة على ثلاث جوانب، ويتم الدخول إلى قاعة المطالعة بواسطة باب على شكل نصف دائرة، وفي الداخل توجد مقصورة محاطة بعمودين بارزين، كانت تحتوي على تماثيل لآلهة حامية المبنى، ويوجد بمدخل المكتبة جلمود كتب عليه : إنه تنفيذا لوصية مواطن ثري يدعى (**Logatianus**) الذي وضع مبلغ (400.00 سيسترس) لإقامة هذه المكتبة، وهي هدية منه،



بقايا مكتبة، كانت بروادها يوما

ونجد في المكتبة (8) ثمانية رفوف للكتب، (4) أربعة على اليمين، و(4) أربعة على اليسار، وهناك شوارع متفرعة على جانبي الطريق، تعرف باسم **(Cardines Minores)** توجد بها بقايا مساكن، وأسواق منها سوق اللحوم بدليل تلك النقوش، التي ترمز إلى أطراف حيوانات، كانت تذبح لبيعها، وفي نهاية الشارع، نجد حمامات مع بناياتها المختلفة، كقاعة الانتظار والراحة، وخزانات المياه وغيرها، بعدها تجد نفسك، عند تقاطع الطريقين الرئيسيين : شمال- جنوب **(Cardo-Maximus)** وشرق - غرب **(Ducumanus Maximus)** ثم طرق فرعية موازية للطريقين السابقين، وتشكل

عند تقاطعهما، مربعات طول أضلاعها (20) عشرون مترا خصصت لبناء المنازل، وينتهي الطريقان الكبيران ببابين كبيرين في طرفيهما يزينهما قوسان ضخمان، مزينان بحجارة وأعمدة منحوتة بإتقان .



أثر جلمود صخر في يوم ممطر بكتابة شاهدة

عزيزي السائح

أرى أن تتوقف هنا، لترى (قوس تراجان – L'arc de TRAJAN) من الجهة اليمنى باديا شامخا – غير بعيد عنك – لكن من الأحسن، أن تواصل سيرك على درجات خمس، تجتازها إلى المدخل الرئيسي للساحة العمومية، وأنت هنا أمام أعين حرس المدينة، الذين يحيبونك بكل احترام، ويساعدونك ويرشدونك إلى ما تريد، فأكمل جولتك السياحية، وهي فرصة في مناسبة، قد لا تتكرر كثيرا .



في الطريق إلى قوس النصر للإمبراطور (تراجان)

الساحة العمومية أو (الفوروم) (Forum)

الساحة العمومية : تتربع على مساحة تبلغ مقاساتها(60×100 م) وهي تشمل كل البنايات المحيطة بها، عند المدخل العام، تجد رواق وأعمدة، تحيط بالساحة المبلطة من الجهات الأربع، وفي وسط الساحة، توجد ساعة شمسية، وهي عبارة عن خطوط طويلة متعامدة، تحدد الوقت للسكان، انطلاقا من انعكاس أشعة الشمس على مختلف هذه الخطوط وهناك في الفناء رسوم، ألعاب لرموز نقشت بأداة حادة منها : رسوم للعبة الشطرنج أو "الضامة" التي توجد على بلاطات بين عمودين، ويوجد بين عمودين آخرين شكل مربع عليه

كلمات تتكون كل واحدة منها من ستة حروف وهي: (Venari - Lavari) وتعني الصيد أو القنص، (Ludere Ridere) تعني السباحة، (Occete - Vivere) وتعني الضحك، هذه هي الحياة.



نقوش على أرضية الساحة علّها المكان المفضل للعب

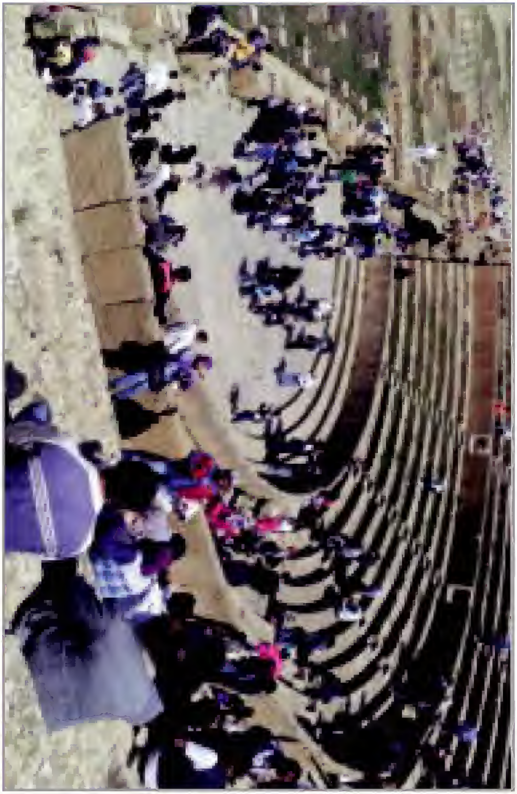
وتوجد في الساحة العمومية، قاعة مستطيلة الشكل، مبلطة بالرخام المضلع بالألوان الزاهية، وتسمى هذه القاعة (**(Kuria** وهي قاعة مخصصة للاجتماعات، كما يوجد معبد، وحوانيت ومكان التقاء الناس في الساحة، حيث تلقى الخطب على الشعب، أثناء تولية المهام أو التعازي، وكان على جانبي (الفوروم) تماثيل لأباطرة وحكام وأرباب العمل ورجال القضاء ومواطنين امتازوا بالشجاعة والذكاء .

المسرح أو (المدرج الروماني) (Amphitheatre Romain)

مسرح تيمقاد : مبنى غير مسقوف، استخدمه الرومان، لإقامة مباريات المتبارزين وأنواع المصارعات والمنافسات، وقد ابتكر الرومان هذا النوع من المباني، وأكثروا من إقامته في إنحاء إمبراطوريتهم، والمسرح (المدرج) يتوسطه ميدان الاستعراضات، الذي شيدت حوله المقاعد في عشرين صفا من المقاعد الحجرية، بعض فوق البعض، وهذا يساعد على انتقال الصوت من أسفل إلى أعلى، ويتخلل الصفوف عدد وافر من الممرات، تيسيرا لدخول وخروج أعداد كبيرة من

النظارة، وتحت ميدان الاستعراضات، توجد غرف للألبسة ومخازن وغيرها .

يقع المسرح وراء الساحة العمومية، وقد أقيم على ربوة من الروابي المشرفة على المدينة، بحيث يمكن رؤية طرق المدينة، وقوس(تراجان) ومعبد الإله (جوبيتر) والقلاع الأخرى، ويمكن الدخول إلى المسرح، عبر الطريق الذي يفصل بينه وبين الساحة العمومية، ويتكون من :



المدرج الروماني بمدينة تيمقاد ، الجزائر

1 – (La Cavea) : وهي على شكل نصف دائرة، حيث تجرى أنواع المبارزة والمصارعة والمنافسة والعروض المسرحية، ويوجد على أرضية المسرح، بلاطة نقش عليها سهم، وكل من يقف عليها، ويتكلم، فإن صوته يتضاعف، وكأنه أمام مكبر صوت! وهذا يعود لفراغ كبير تحت بلاطات الساحة، الذي يجعل الصوت المنبعث في ذبذبات متعاقبة قوية، وهناك زاوية أخرى، تنبعث منها نفس الحالة، ويصعب معرفتها، إلا إذا كنت مع دليل .



مكبر صوت أرضي يعمل بدون عطب أو عطل

2- الأوركسترا (L'orchestra) : وهي على شكل نصف دائرة، وتفصل بين عامة الناس بجدار، وهي مخصصة لذوي الرتب العالية، والأعيان والمدعوين .

3- المنصة (La Scène): وهي مخصصة للممثلين، يفصل بينهما وبين الأوركسترا جدار يدعى (Pulpitium) وتوجد بها مقصورات على شكل نصف دائرة، ومدرجات المسرح على شكل بيضوي(9) ، وعن تاريخ بنائه تشير الدلائل، أنه بني سنة 162 م .



زيارات متواصلة على مدار السنة

وهناك الحمامات الكبيرة، التي توجد على حافة الشارع الرئيسي، وقد بنيت في القرن الثاني قبل الميلاد، وهي عبارة عن فناء كبير، مكون من قاعة مستطيلة الشكل، ومنه يتم الدخول إلى القاعة الباردة مع حوضين جانبيين إلى الحمامات الباردة، وتحتفظ هذه الحمامات بأجزاء اللوحات الفسيفسائية على الأرضية، التي كانت تزين قاعات هذه الحمامات .

حي الكابيتول والكاتيدرالية الدوناتيست

(Quartier du Capitole et de La Cathedrale Donatiste)

يقع هذا الحي، خارج مخطط المدينة، وبه المعبد الكبير لآلهة الرومان (جوبيتر، نيبتون، مينرفا (Jupiter – Neptune – Menerva وهنالك مارس (Mars) إله الحرب، وفينوس (Venus) إلهة الجمال والحب، وهي من أحب الآلـهة، وأقربها إلى نفوس الرومان، وقد كان لهم آلهة متعددة، فللمطر إله، وللبحر إله، وللسلم إله، وهلم جرا .

وقد بني المعبد في القرن الأول الميلادي على مرتفع مربع الشكل، وتحيط به ساحة واسعة محاطة بالأعمدة، وقد بقيت من آثاره أربعة

أعمدة، منها إثنان تقف شامخة إلى اليوم، وتشكل مقاساته(90×62 م) ويفتح نحو شارع رئيسي، يرتفع على أرضية مبلطة، ومنه يتم الدخول عن طريق سُلّم، كان يتكون من(38) ثمانٍ وثلاثين درجة، ويضم ستة (6) أعمدة [10] وحوله فناء كبير محاط بأروقة.



معبد (Jupiter) الأثري في تيمقاد

عزيزي القارئ :

بعد جولتك ووقوفك على آثار هذا المعبد، تتجه بواسطة طريق يؤدي إلى قوس الإمبراطور (تراجان) أو قوس النصر، الذي أقيم بمدخل الشارع الرئيسي، تمجيدا لانتصاراته، فالقوس مزين بقواعد أعمدة، وبه (3) ثلاث فتحات، وتوجد به مقصورات في الأعلى، التي تضم تماثيل، وأعمدة صغيرة في غاية الإتقان، وبذلك نجد أن ضخامة هذه الأقواس، لها تأثير في نفوسنا، فإننا نشعر إزاءها بالروعة، وبنوع من الإعجاب .



على مقربة من قوس النصر بخطوات، وعلى بعد 1911 سنة

سوق سرتيوس

(Le Marché de Sertius)

يوجد هذا السوق بالقرب من مبنى (كابيتول) والشارع الرئيسي، ويمكن الدخول إليه عن طريق يوجد في الجهة الشمالية، ويتكون هذه السوق من فناء مكشوف محاط بأروقة، وفي الوسط، كانت توجد نافورات مياه موضوعة بأربعة بلاطات حجرية، مركبة عليها أعمدة صغيرة، وهذا السوق مخصص لبيع الخضر والفواكه، وبجانب سوق (سرتيوس) يوجد سوق آخر، قد عرف بواسطة نقش كان في الساحة **(Vertiarum Forum)** ويوجد بداخل هذا السوق، حجارة ذات شكل مستطيل، يبدو عليها

الانكسار مع وجود جزء مهشم منها، ويتكون من عدة سطور كتبت باللاتينية.



جلمود، بقي على حاله، رغم ميله قليلا

وتقع بالقرب من هذه الآثار، معابد صغيرة، وبناء مجلس الشيوخ المحلي للمدينة، وعشرات الآثار الأخرى، التي تعود إلى جهود الجزائريين أنفسهم، الذين وإن كانوا تحت سلطة الرومان، فقد تركوا روحهم الخاصة في كل نقش أو نحت أو أثر، ولأنهم كانوا يعملون بأيديهم وسواعدهم بجد ونية صادقة في إنجاز هذه المدينة، التي يشاد بها في كل زمان وآن .



كتابة على جلمود للقراء

هدية الكاتب للقراء الكرام

عزيزي السائح

وبعد :لقد أكملت رحلتك السياحية إلى مدينة تيمقاد الأثرية، ووقفت على معظم أطلالها البادية أمامك ،والمنظورة لك، وهي تشي بزمن غابر لمجد عريق، تبدو بصماته في كل أثر شاهدته وتروي عظمة الأمس، لتخلد تاريخ الحضارة الرومانية، وهي من الحضارات الإنسانية ،التي مرت من هنا في حين من الدهر على أرض الجزائر، ولم يبق منها إلا الأثر بعد العين.

إخوتي القراء

أكتفي بما قدمت، وأحاول أن أختم كلمتي بقولي : لقد عاهدت نفسي، أن أقدم هدية في نهاية كل رحلة، وحرصت أن تكون من الأرض التي زرتها، وهديتي لكم، تتمثل في ما استسقيته من رحلتنا، أثناء وقوفنا أمام الأثرين : إمدغاسن النوميدي وتيمقاد الأثري، علينا أن ندرك، أن ضريح إمدغاسن، هذا الهرم المدرج الضخم، البادي أمامنا ،يدل على أن بُناته الأمازيغ، كانوا في القرن الثالث قبل الميلاد في دولة تميزت بالاستقرار والتقدم، إذ ما كان ليكون هذا الصرح، بهذا الإتقان وهذه الهندسة البديعة، لولم تكن الدولة

النوميدية محكمة وقوية في نظامها وجيشها وهكذا، إذن، أنه (يجوز أن نقول بموت الحضارات، ولكن لا يجوز أبدا، أن نقول بموت الشعوب، الموجدة لتلك الحضارات) .

ومدينة تيمقاد الأثرية، ما كان لتشيد وتقام، لو لم تكن مقاومة جيش الدولة النوميدية باسلة وصامدة أمام الجيوش الرومانية، وهذا ما جعل الإمبراطورية الرومانية، تقيم أكبر مدينة دفاعية عن وجودها في شمال إفريقيا بالأوراس، لمواجهة هجومات الثائرين الوطنيين .

وما قوس (تراجان) إلا دليل على أن الحرب، كانت سجالا بين الجيوش الرومانية وجيش

نوميديا والمقاومة المتواصلة، وما إقامته بهذه الضخامة، إلا لأن شعور الإمبراطور بنشوة النصر، كانت عارمة، بقدر ما كان يشعر بمرارة الهزائم، وما أشبه البارحة باليوم، ولأن التاريخ لا يتغير ولا يتبدل، وهنا تذكرت، ما حدث للأمير عبد القادر، وهو في سجن (أمبواز) بفرنسا.

حدث في يوم من أيام تاريخ الجزائر الطويلة في أواخر شهر أكتوبر سنة 1852 دخل عليه جنرالات وعقداء الغزو والاحتلال، والنجمات على الأكتاف، والأوسمة على الصدور، والسيوف على الجانبين، والنياشين ترصع زيهم العسكري، وهم ينظرون إليه نظرة المنتصرين، قال لهم كلمة،

خرجوا بعدها، مطأطئي الرؤوس، ماذا قال لهم؟ قال : (لو لم أكن أنا، لما كنتم أنتم!؟) .

والآن، أقول لكم إخوتي القراء، تأكدوا، أنكم ستتوقون إلى زيارة أماكن أثرية سياحية أخرى، وفي كل مرة، ستشعرون بشعور مغاير للمرة الأولى والثانية، وقد يكون هذا الشعور الفعال، حافزا تنصهر فيه العلاقات الاجتماعية، وتقوى الروابط الوطنية، نتيجة للإلتفاف في موقف واحد في جمع موحد، حول أثر معين، هنا أو هناك، وكلها تستحق الزيارة والمشاهدة، ووقفة طويلة في كل مكان من ربوع بلادنا الجميلة، وهكذا إلى لقاء آخر في كتاب قادم، إن شاء الله .



أفق مدينة تيمقاد بعدسة الكاتب

الهوامش

(1) يقع ضريح (إمدغاسن) شرقي مدينة باتنة بـ (30كلم) ببلدية بومية، دائرة المعذر، ولاية باتنة، فوق هضبة، مما جعله يشاهد من بعيد .

(2) توفي الملك ماسينيسا عام (148 ق.م).وقبره في صومعة الخروب على بُعد 15 كلم بالجنوب الشرقي من قسنطينة .

(3) جزيرة رودس : جزيرة من جزر اليونان، وصلت إلى أوج مركزها كقوة تجارية، ومركز ثقافي في القرن (4، 3 ق.م) يوجد بها تمثال "كولوسوس رودس" عملاق رودس، ويعتبر من عجائب الدنيا السبع، وقد شاهدت معظم هذه العجائب في تجوالي وترحالي .

(4) الملك يوغرطا، تبوأ عرش سيرتا – قسنطينة حاليا – سنة (112ق .م) وأعلن استقلال الجزائر التام، وبفعل مؤامرة، تم تسليمه إلى الرومان سنة (106 ق.م) توفي بروما سنة (104ق.م)

(5) برزت الإمبراطورية الرومانية ابتداء من سنة (350 ق م) وغدت قوة برية لها من القدرة ما مكنها من أن تصبح سنة (201 ق.م) سيدة غرب البحر الأبيض المتوسط ، و توسعت شرقا و غربا، و دام الحكم الروماني حـــتى عام (434 م) حيث سقطــت المنطقة تحت احتلال الو ندال (Les vandales)

(6) تم اكتشاف مدينة تيمقاد الأثرية من قبل الرحالة الانجليزي جيمس بريس (j . bruce) باكتشاف الجزء العلوي من قوس تراجان عام 1765م .

(7) حسب إحصائية مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية لولاية باتنة لسنة 2008 .

(8) الإمبراطور (تراجان تاريانوس)، كانت فترة حكمه (98 –117 م) .

(9) أذكر، أنه على مدرجات المسرح الروماني، كانت تقام المهرجانات الفنية خلال فصل الصيف، التي انطلقت طبعتها الأولى سنة 1966 في صنعة محلية، قبل أن تأخذ الطابع الدولي في السنة الموالية 1967 استمرت هذه التظاهرات إلى غاية سنة 2009 لتنظم في المسرح الجديد، الذي أقيم بمحيط المدينة على شكل وهندسة المسرح (المدرج) الروماني بـ "تيمقاد" القديم تقريبا .

(10) أتباع الديانة المسيحية وقتذاك بمدينة تيمقاد، هم من المذهب (الدنتوسي) أو (الدوناتيست) ومؤسسه الأسقف (دنتوس) المقيم بمدينة تيمقاد شمال الأوراس سنة 305م .

بعض المراجع المعتمدة

1- **أضواء الأوراس التاريخية** (مجلة) العدد الأول، الجمعية الثقافية للبحوث التاريخية بولاية باتنة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 2006 .

2- **بن مرزوق عبد الرحمن**، دليل آثار تيمقاد، جمعية المعالم الأثرية بولاية باتنة، م. ف. عين التوتة، باتنة، الجزائر، 2001.

3- **سليمان مظهر، قصة الديانات**، دار الوطن العربي للطباعة والنشر، بيروت – لبنان 1977

4 - **منير بوشناقي**، الضريح الملكي الموريتاني، تعريب عبد الحميد حاجيات، وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر 1979 .

5 - **مديرية الثقافة لولاية باتنة**، باتنة بين الماضي والحاضر، الجزائر 2007 .

6 - **عبد الرحمن محمد الجيلالي**، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965 .

7 - **وكالة الأنباء الجزائرية**، ولايات في تطور، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1983.

8 - **وليم لانجر**، موسوعة تاريخ العالم، الجزء الأول، ترجمة محمد مصطفى زنودة (الدكتور) مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، 1954.

9 – **يحي بوعزيز (الدكتور)** ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط2، منشورات متحف المجاهد، الجزائر 1996 .

10 – **Philippe GLOAGUEN & Michel DUVAL** (LE GUIDE DU ROUTARD) Imprimé en France par l'union parisienne d'imprimeries 1976

فَهرس

فهرس الصور

العنوان: ص. ب 53 الإخوة خزار، باتنة (05000) الجزائر.

الموقع الإلكتروني: www.drmetmer.com

البريد الإلكتروني: E-mail: drmetmer@hotmail.fr